

## حميد كشكولي

### بين دماء نهر الوند وإكسير الحياة في السويد

#### (2)

في الفجر ستصل أسماعنا ترنيمات الزيتون من وادي الكبير

وستهدم برائن الموت في عتمة المنغوليا

هذا ما يشير الى إعدام لوركا فجرا , أي مع تغريدة العصافير , وأنسام الصباح الدافئة . لكنهم مهما فعلوا فأن المستقبل مشرق لا محال وسوف يحلق الأمل من خلال شرفات هذا الكون المظلم , ومن خلال الكثير من الكتب التي تتحدث عن الشاعر لوركا وإعدامه وعن الحرب الأسبانية , ومنهم الشاعر الكبير بابلو نيرودا في ديوانه (أسبانيا في القلب) , أنّ قسما من الجنود أثروا حمل نسخ من ديوان (أسبانيا في القلب) على حمل أغذيتهم وملابسهم وهي مجازفة كبيرة بالنسبة اليهم وهم متجهون صوب فرنسا , وهذا الديوان موجود في الكونغرس الأمريكي وخلف واجهة الزجاج بأعتبره من الكتب المهمة والنادرة. فنرى الشاعر حميد لايمكن له الإنسلاخ عن مايمس البشرية من ظلمٍ وقتل , ولايمكن له الصمت (المصيبة ليس في ظلم الأشرار بل في صمت الأخيار... مارتن لوثر) , ولذلك نرى الشاعر حميد صارخا متماهيا مع ترابه الأصل , الذي نشأ وشاب عليه كما في نص (الجدور) أدناه الذي يبتدأ بالقسم .....

أقسم بلهب هذه النار بين خطى الفراشات

وبلزوجة هذا الطين في راحات الصفصاف

وببذورك التي لن تنتاهي أبدا في الصغر

أن براعمك تفتقت في غربة هؤلاء الهائمين في برية اللانهائيات

وإن أمسك مراقاً في سلال نبالة الشمس في وادي الذئاب

الشاعر حميد لا يمكن له أن يقص جذور هواه من الأعماق ويجعلها في طي النسيان, أنه في حالة من الونام مع

الوطن , مع الطفولة التي تهيم اليوم بعد إن أصبحت في عمر الشقاء في أمكنة العالم المجهولة والتي كنا نحلم

أن نراها , الطفولة التي كبرت تهيم اليوم في (برية اللانهائيات) , لكن أمس حميد يشكل له الأواصر الحيوية

التي تنبض في دماءه وعروقه , أمسه الذي قضاه في العراق , لكنه ورغم كل ما حدث من تغيير في حياته فإن

قلبه لا يطاوعه في التنصل أو التناسي عن بقعة اللهو والنزق , ولذلك نرى النص أدناه (قلبي يسبق خطاك) فيه

من الصبابة التي تعطينا جوابا شافيا عن ذلك....

قلبي يسبق خطاك

أغمس جراح الأزهار في بئر نظراتك

وفي راح النجمات أشم رطوبة التراب

وأطرق أبواب السماء

لعل حمامة من حمامات الغياب حفظت في ذاكرة البومة مفتاح الفؤاد

مثلما القول (من علم العين أنّ القلب يهواك) , أحيانا ومن شدة اللهفة نختبئ وراء اللقيا . ريتسوس في قصيدته بعنوان (معنى البساطة) يقول : أنا وراء الأشياء ، أختبئ كي تجدني/ وإن لم تجدني ، ستجد الأشياء/ ستلمس ما لمست يداي/ ستتقارب مسالك أيدينا / الكلمة حقيقة عندما تصر على اللقاء . إذا اللقيا , اي لقيا كانت , لحبيب أو لشخص قد فارقتاه , أم مكان قد اصبح من الصعوبة أن نظرقه ثانية , نجد قلوبنا داخل أضلاعها تزداد خفقانا , إيذانا لتلك اللهفة أن تأخذ مدارها قبل الخفوت, لعلّ الذاكرة تركد قليلا فتستريح مما كان يؤلمها من سوءات الماضي وحوادثه التي لا تطاق في نظر نفوسنا وقلوبنا الرهيفة من شدة إنسانيتها , قلوبنا تلك التي تمزقت ألماً وحرقة أيام الضنك والفاقة ولا بد لها أن تركن بعد إن اصابها التشظي , وهذا ما يؤكد الشاعر حميد في نص (شظايا).....

تهشمت مرآة قلبي

غدا وجهي شظايا

أرث الأشياء ملطخة بدمي

الملم وجهي , أديره صوب عالم لم أراه بعد

(يجب أن لا تفكر بهذه الطريقة والأصابع الجنون.... ماكبت). هكذا حميد يرى الأشياء بمنظوره الأدبي الثاقب , المؤمن بقضية ما , حميد الذي يريد تغيير العالم الى الأفضل , لكنه كلما يغترب ويقلب صفحاته يكون إنساناً آخر , محض إنسان وليس حميد , يرى العالم ملئ بالدم وقتل الأخوة لبعضها البعض , حروب لا تنتهي , وقيامه مدمرة من صنع الإنسان نفسه , الإنسان الذي لا يكل من تهديم نفسه وما بناه بين الأونة والأخرى , ثم بعد ذلك يندم على ما فعله من أخطاء لا تغتفر , وخطايا لا تعيد ما أفسده الدهر , أنه الصراع الدائم والطبقي المستمر حتى هذا اليوم . ورغم ذلك حميد يوجه لنا رسالة مفادها هو أن ما يحصل الآن هو قليل مقارنة بما سوف نراه من دمارٍ وخراب , وبين هذي وتلك , الشاعر حميد يعطينا قليلاً من مصل الأمل , وعلى غرار رؤيا الشاعر الشيعي الشهير الراحل ناظم حكمت الذي قال (أجمل الأيام تلك التي لم نعشها بعد). حميد بكل جروحه وآلامه وعطشه الى الحرية , قد تفتقت آماله هنا مع الغرباء , في السويد بلد المنفى , بلد اللحم اذي كان منشودا له في أيام الطاغية صدام . ولذلك نرى حميد دافئاً متثائباً ومستريحاً نوعاً ما حسب ما نراه في رائعته (حلم الليلة القادمة).....

تثاؤب الرمان يتلقت نمل حيرتي بين أضلاعي

فيشهب جليد البحيرة أنفاسي الملتهبة

وتتدفاً خطى هيامي.

والأرنب البري يرتدي زيه الشتوي الأبيض , وحركات من وميض

## تهطل الثلوج البهية على مالمو

صفة الهموم والحظوظ العائرة ملاصقة للعراقيين منذ أزمانٍ سحيقة, مهما حلمنا , هناك من يتربص بنا وبأحلامنا كي ينقض عليها في المهد , وهذا المتربص هو الموت وبشتى أشكاله , الطبيعي أو ذلك الموت من جراء الطغيان والسجون والحروب الطائفية التي مازالت تحصد الأرواح بالجملة , وهذا ديدين الموت دائماً وأبداً على الأرض العراقية العنيفة منذ الأزل , الموت المطارد للعراقيين في أرض المنافي , و المختلف عن الموت الذي يصيب سائر البشر , وهذا الموت هو الذي سرق (أسرين) الفتاة الكردية الشابة ومقدمة برنامج في أحد القنوات السويدية , هو موت إختياري بطعمٍ مرّ , كما في النص الحزين (موزاييك أسرين).....

والموت كان جالسا على عتبة دارنا

نعم أنا مسلمة

أدين بدين العشق

النار قبلتي

سجادتي الماء

ووجنات الورد كعبتي

إحدى المنظمات السويدية المدافعة عن الروابط الأسرية إتخذت شعاراً (لن نتدم وأنتَ على فراش الموت , لأنك لم تحصل على ترقية , بل لأنك لم تقضي الوقت الكافي مع مَنْ تحب). الموت الذي غَيَّب أسرين بهذه الطريقة ,

ومن قبل العائلة نفسها , الموت الأختياري والقسري في نفس الوقت , هو السبب الرئيسي في أن يجعل أسريين  
لم تعش فترة طويلة مع ذويها وأهلها وناسها أو مع مَنْ تُحب لو شاءت الأقدار وبقيت حتى اليوم حيةً تَرزق .

الى أن يقول الشاعر في نفس النص.....

والعشيرة تنصب بيوت الشعر فوق راحتي

وأنا شيعية

رأس شهيدي

ينثر فضته على سطوح بيوتنا

وسكينة أختي

حناء عرسنا كان دم قاسم

في النص أعلاه جسّد لنا المبدع حميد حقيقة مانعيشه من حلم في أرض الغربية حيث الطمأنينة واللجوء الإنساني  
مع سوء التصرف من قبل بعض العراقيين , الذين ظلّوا بتقاليدهم البالية والقاتلة التي أودت بحياة فتاة كردية في  
مقتبل عمرها العشريني (أسرين) , الفتاة المتحضرة ومقدمة برامج في القناة السويدية , يطفح بها الكيل من  
الضغوطات وإتهامها بشرفها , فلا تصبر على ما أصابها من أهلها وذويها , بأعتبارها العورة التي يجب أن  
تستر نفسها وتظل ملازمة البيت . فتضطر هذه الفتاة لأن تجعل حدأ لحياتها بالانتحار وتقتصر الطريق الى  
الموت وتختار العدم الذي جاءت منه , وبذلك تتخلّص من القيم الماردة التي لم تستطع الوقوف أمامها والصمود

بوجهها . أنا أعتقد من المفروض على المرأة أن تكون حذرة في بعض الجوانب الحساسة التي من شأنها أن تريق الدم , أن تخفي بعض الشيء حفاظا على ماسعت من أجله وما سهرت عليه وما وصلت اليه من مستوى يليق بأهلها وناسها وأصدقاءها , أن تكون دائما متوجسة من التقاليد الجهنمية التي يتمسك بها مجتمعنا , إذ كما قال جان ككتو (ينبغي للإسان إذا أراد أن يعيش أن يقول نصف الحقيقة ويخفي نصف الشعور .

حميد كشكولي هو من مناصري قضية المرأة, المرأة الكونية وليس العراقيه فحسب , ولما لا , فهو من خلال جميع إبداعه نراه متحم باللينينية والماركسية والشيوعية كما في النصوص الثلاث أدناه وعلى التوالي , نبدوها بنص (أحلام خضراء تخضبُ خطواتي).....

**في هذا اليوم أحملُ نجوما الى البيت**

**وأستمع الى سمفونية المطارق والفؤوس والمناجل**

**وقهقهات الماء**

**وترانيم التراب**

في هذا النص يعترف الشاعر بأنّ الحانه المفضلة هي التي تشير الى النعمات الشيوعية والماركسية , تلك الألحان التي طربت لها الملايين من الناس في كافة أرجاء الفسيحة , تلك الأغاني التي خُطت باللون الأحمر , وتلك المعزوفات التي يتخللها رنين المطارق والمناجل , ذلك الصوت الذي ينعش قلب الشاعر ويزيل عنه الكثير من همومه السياسية والاجتماعية .

ثم نص (لينين مايسترو العزف الإنساني).....

أيها المفعم بالنور وعطر التراب

لن ننسى رسالتك في الإنسان والهاجعة في نسيم شجرتك الخضراء

ثم يقول في شذرة أخرى من نفس النص.....

وحركات يديك طوفانٌ سيظهر الأرض من أدران رأس المال

فيا أيها القلب الكبير!

أضئِ دربَ النضال لتتقذ الحديد من فم الذئاب

ثم نص (دماؤنا شيوعية ياسعدون).....

ليلنا رهيب حين يرسم الرصاص في صدورنا أحافير الخلود

وحين تغدو أحلامنا القديمة جسرا بين ضفاف الفجر

ويخضب السهوب بدم شمس الأصيل

وما أعمق ليلنا إنه مثل دربنا طويلٌ , طويل

حتى يقول في نهاية النص.....

دماؤنا مطارق العمال وسواعد الفلاحين , ورياض الأزاهير وبساتين

ومن أنداء جبيننا ينبت القمح , وتسمو أيادي تزرع في السحاب

نجوم الليل الحنين

وترسم بسمات على الشجر , والصخر , تتدفق مثل روح العيون

النصوص أعلاه كلها ترتكز على قاعدة واحدة متينة , هي التي عامت فوقها أكبر الشامخات التي ترمز الى الشيوعية العالمية , والتي صعدت الى أعالي السماء كي تراها أعين الناس بكل وضوح , إرتفعت هناك وأصبحت سحبا تحت نجوم الليلي الحالكة , وبدأت تمطر كي تشق الصخور وتعطي الأمل المتدفق لأنبات الشجر في تربة الصعوبات . الشاعر حميد هنا حاول أن يمزج بين الشعر ذو المعنى الكلاسيكي الذي تغلغل في أعماق الطبيعة والشعر الأنتمائي (الأراغوني) نسبة الى الشاعر الفرنسي الشيوعي أراغون , فجاءت النصوص كلها على إيقاعٍ نغمي رائع أحسنه ونحن نقرأ الثيمات بأذن موسيقية . الشعر والطبيعة سيان , الأثنان عبارة عن إيقاع ووزن , ولذلك حميد توفق في هذه النصوص الخالصة لأنتمائه الفكري مع وصف للطبيعة والسماء وماتحتويها . كما وإن حميد لا يستطيع تجاوز الأسماء التي ظلّت بين ظهرانينا , تلك التي ضحّت بالغالي والنفيس في سبيل الراية الحمراء , ومنهم (وضاح عبد الأمير - سعدون) الذي إستشهد في 31 تشرين الثاني 2004 على أيدي الجبناء المتطرفين الإسلامويين. وبعد هذا الحزن والوقفه الباكية على شهداء

رأية المطارق والمناجل لآبد للمبدع حميد من تطيبب للمشاعر والأحاسيس , فآاء نسه الآلي (إآهاب  
الآواطر) دعماً لما نقول .....

يتبع في الآء الآالآ

عراق/دنمارك